الفصل الأول

مقدمة

أ. الخلفية

الأدب هو شكل من أشكال التعبير الثقافي الذي يلعب دوراً هاماً في وصف الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي للمجتمع. وباعتباره عملاً فنياً يستخدم اللغة كوسيلة للتعبير، فإن الأدب قادر على نقل مختلف الأفكار والمفاهيم والنقد للظروف الاجتماعية القائمة. وعلى مر التاريخ، كان الأدب بمثابة مرآة للمجتمع، يكشف عن مختلف قضايا الحياة، سواء كانت أخلاقية أو اجتماعية.

للأدب مكانة ودور واستخدام في المجتمع، وكل هذه العناصر تتغير باستمرار مع مرور الوقت وتختلف من مجتمع لآخر.[١] يؤكد هذا الرأي أن الأدب لا يتأثر فقط بالسياق التاريخي والاجتماعي الذي نشأ فيه، بل إنه قادر أيضًا على التأثير على آراء المجتمع ومواقفه تجاه قضايا معينة وتغييرها. للأدب أيضًا القدرة على تغيير اللغة نفسها.

أحد أشكال الأدب العربي هو الخطبة. الخطبة هي تعبير أو خطاب موجه إلى جمهور كبير من أجل شرح مسألة مهمة، ويستخدم للتأثير والتحفيز والدفاع عن رأي المرء أو الرد على آراء الآخرين والدفاع عن مذهبه.[٢]

لعبت الخطب أو الخطابات دورًا مهمًا في الثقافة والتقاليد الإسلامية، مثلما كان الحال خلال

[1] S. Djoko Damono, *Pegangan penelitian sastra bandingan* (Jakarta: Departemen Pendidikan Nasional, Pusat Bahasa, 2015), 6.
[2] W. Wargadinata dan L. Fitriani, *Sastra Arab Masa Jahiliyah dan Islam* (Malang: UIN Maliki Press, 2018), 162.

عهد الأسرة الأموية. كشكل من أشكال التواصل العام، كانت الخطب تُستخدم لنقل النصائح الدينية والرسائل الأخلاقية القيم الاجتماعية والسياسية. كان الحجاج بن يوسف، واسمه الكامل أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، شخصية مشهورة بخطبه. كان سياسيًا وعالمًا وعالمًا في البلاغة والقانون. كان الحجاج واعظًا ماهرًا ومتميزًا في عصره.

في نهاية القرن السابع الميلادي، واجهت الخلافة الأموية بقيادة عبد الملك بن مروان أزمة عميقة في الشرعية والاستقرار. فقد أصبح العراق، ولا سيما مدينة الكوفة الحامية، مركزًا للمعارضة السياسية والدينية المستمرة. كانت الكوفة بمثابة بؤرة للانقسامات الحزبية، ومرتعًا للمشاعر المؤيدة لعلي وآيديولوجية الخوارج التي كانت تهدد باستمرار هيمنة النظام الأموي المتمركز في دمشق. في هذا السياق غير المستقر، برزت شخصية الحجاج بن يوسف الطقفي كأداة السلطة الأكثر فعالية والأكثر رعبًا.

يقدم ملف الحجاج بن يوسف صورة متناقضة. فمن ناحية، بُنيت سمعته على قسوته الاستثنائية؛ فقد عُرف بكونه زعيماً استبدادياً، وجلاد الأمويين المسؤول عن القتل الجماعي لخصومه السياسيين، بمن فيهم الصحابة والعلماء. لكن من ناحية أخرى، كان زعيماً ذو كفاءة عالية ورجل دولة ذو رؤية. كان الحجاج شخصية رئيسية في استمرار سلطة الأمويين، حيث نجح في سحق أخطر الثورات في عصره، مثل ثورة عبد الله بن الزبير في مكة، ونفذ بنشاط إصلاحات مهمة في المجالات النقدية والزراعية والإدارية، فضلاً عن قيادة توسع أراضي الخلافة.[٣] هذه المفارقة تبدو أكثر وضوحًا بالنظر إلى خلفيته كحافظ ومدرس للقرآن، وهي حقيقة غالبًا ما تُقارن بقسوته لتسليط

[3] G. R. Hawting, *The First Dinasty of Islam, The Umayyad Caliphate AD 661-750* (London: Routledge, 2000), 49.

الضوء على طبيعته الغامضة.

لم يكن تعيين الحجاج والياً على العراق في عام ٧٥ هـ/٦٩٤ م مجرد تغيير إداري روتيني. بل كان عملاً متعمداً من قبل الخليفة عبد الملك. فقبل أن ينطق الحجاج بكلمة واحدة، كان مجرد وجوده رسالة بحد ذاتها. كانت سمعته كقائد قاسٍ يقمع الثورات بمثابة إشارة إلى سياسة جديدة لا تقبل المساومة؛ وكان وجوده يعني نهاية عصر التمرد. كان وصوله الدرامي إلى الكوفة، وإلقاءه خطابًا بعد انتصاره في حرب دار الجماجم، أداءً مدروسًا بعناية بهدف خلق توتر وإشارة إلى انهيار النظام القديم.

موضوع هذه الدراسة هو خطبة الحجاج بن يوسف عندما كان واليًا على العراق. كان العراق منطقة شهدت عصرًا ذهبيًا في مختلف مجالات المعرفة. كان العراق منطقة حضرية مليئة بالحياة الفكرية، والتي أنتجت أنواعًا مختلفة من المعرفة.[٤] كان هناك أيضًا العديد من الشخصيات الشهيرة من بين الصحابة الذين عاشوا في العراق، بما في ذلك عتبة بن غزوان، وبريدة بن الحشيب، وعمران بن الحصين، وأنس بن مالك، الذين عاشوا هناك حتى وفاتهم.[٥] كان العراق من أغنى المناطق وأكثرها قيمة. استفادت الأراضي الزراعية من مناخ وخصوبة وديان نهري دجلة والفرات السفليين، وأُطلق عليها اسم يعكس ثرائها: سواد، أي التربة السوداء. كان العراق أيضًا مركزًا عسكريًا لغزو وإدارة الأراضي الشرقية، وأصبحت مدينتا الكوفة والبصرة، اللتان كانتا حاميتين عسكريتين، موطنًا للمستوطنين العرب في المحافظات الشرقية.[٦]

---

[4] M. Anshori, *Oposisi Penulisan Hadis di Basrah Pada Abad Kedua Hijriah*. (Jurnal KeIslaman Dan Kebudayaan, 2019), 12.

[٥] م. ابن سعد، *طبقات الكبرى* (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠)، ص ٨-٩.

[6] G. R. Hawting, *The First Dinasty of Islam*, 38.

يمكن أن يُعزى دور الكوفة والبصرة كمراكز للتعليم إلى عدة عوامل. أولاً، تقع الكوفة والبصرة بالقرب من نهري دجلة والفرات، اللذين يصبان في البحر. ولهذا الموقع الاستراتيجي تأثير قوي. وقد شكل ذلك شخصية سكانها، وجعلهم أذكياء ومشهورين. ثانياً، سمح موقع الكوفة والبصرة على حافة الصحراء للغة بالبقاء نقية وخالية من التأثيرات الأجنبية والأخطاء. ثالثًا، كانت الكوفة والبصرة موطنًا للعلماء الذين كانوا يسافرون غالبًا إلى المناطق الداخلية، ولكنهم كانوا أحيانًا يجلبون البدو إلى المدينة. خلال هذه الرحلات، كانوا يلتقون غالبًا بالعرب الأصليين ويدخلون في مناقشات تشير إلى مصادر لغوية أصلية.[٧]

تتميز هذه الخطبة التي ألقاها حجاج بن يوسف بميزة بارزة لأنها ألقيت في لحظة تاريخية بعد معركة دير الجماجم، وهي مرحلة اكتسب فيها مصطلح «الفتنة» معنى مكثفًا في الخطاب السياسي الإسلامي. من الناحية التاريخية، يسجل هذا الخطاب تحولًا مهمًا: لم تعد الفتنة مجرد اضطراب اجتماعي أو صراع داخلي، بل ظهرت كمصطلح يحمل معانٍ أخلاقية ولاهوتية واجتماعية. تكمن أهمية هذا الخطاب في قدرته على إظهار كيف تطور مصطلح رئيسي من معنى وصفي إلى معنى رمزي أكثر تعقيدًا، دون الحاجة إلى شرح صريح. من منظور أدبي، تظهر كثافة الاستعارات المتعلقة بالحصاد والعنف والفوضى الاجتماعية المصاحبة لذكر مصطلح الفتنة قوة اللغة في بناء صورة جماعية لحالة المجتمع، ليس من خلال الحجج العقلانية، بل من خلال الترابطات اللغوية والصور المجازية المتكررة. وبالتالي، يصبح هذا الخطاب نصًا غنيًا جدًا للدراسة لأنه يوضح التطور التاريخي واللغوي لمعنى الفتنة في بناء خطاب كثيف ومكثف يمثل الديناميات السياسية واللغة العربية الكلاسيكية في

[7] Rahmap, *Aliran Basrah; Sejarah Lahir, Tokoh Dan Karakteristiknya.* At-Turats Vol.8 No.1 (Desember 8, 2024) https://jurnaliainpontianak.or.id/index.php/atturats/article/view/104/95

العصر الأموي.

لذلك، أصبح خطابه في الكوفة موضوعًا للتحليل في هذه الدراسة. لم يكن الخطاب مجرد خطاب سياسي، بل كان لحظة تم فيها التعبير عن السلطة والتفاوض عليها وفرضها من خلال أداة اللغة. في هذا السياق، يمكن أن يكشف النهج السيميائي لرولان بارت عن المعنى الكامن وراء العلامات اللغوية في النصوص الأدبية، ومنها الخطاب. يحدد بارت مستويين من المعنى في العلامات، وهما الدلالة الذاتية (*denotation*) و الدلالة الإيحائية (*connotation*). تشير الدلالة الذاتية إلى المعنى الحرفي أو المباشر للعلامة، بينما يشير والدلالة الإيحائية إلى المعاني الإضافية الناتجة عن السياقات الثقافية أو الاجتماعية أو الأيديولوجية.[٨]

بالإضافة إلى ذلك، يرى بارت أيضًا مستوى آخر من المعنى أعمق، وهو المعاني المتعلقة بالأساطير. الأساطير، في فهم رولان بارت السيميائي، هي ترميز للمعنى من القيم الاجتماعية كشيء يعتبر طبيعيًا. الأساطير هي نظام اتصال، تنقل فيه الأساطير الرسائل. وبالتالي، فإن الأساطير ليست أشياء أو مفاهيم أو أفكارًا، بل هي شكل من أشكال الدلالة، شكل. الأساطير هي شكل من أشكال الخطاب. لذلك، يمكن اعتبار كل شيء أسطورة طالما أنه مقدم في خطاب.[٩]

أهداف هذه الدراسة هي: أ) وصف المعنى الحرفي (الدلالة الذاتية) للعلامات في جمل الخطبة، خاصة تلك المتعلقة بالتهديدات والترهيب وتأكيدات السلطة من قبل الحجاج بن يوسف. والهدف من ذلك هو تحديد الأسس الحرفية للخطاب العنيف الذي تم بناؤه. ب) تحليل كيفية استخدام

[8] Jafar Lantowa (dkk), *Semiotika: Teori, Metode, dan Penerapannya dalam Penelitian* Sastra (Yogyakarta: Deepublish, 2017), 127.
[9] Roland Barthes, *Mythologies,* terj. Nurhadi (Yogyakarta: Kreasi Wacana, 1983), 152.

الحجاج بن يوسف للمراجع من نصوص أخرى، ولا سيما الاقتباسات من الشاعر الجاهلي النبيغة الذبياني وآيات من سورة الصافات، لإضفاء معنى مضمر على خطبه. الهدف هو الكشف عن كيفية ربط نفسه بصور البطولة والقوة الإلهية لإضفاء الشرعية على سلطته. ج) دراسة كيفية تفاعل الدلالة الذاتية و الدلالة الإيحائية في بناء الأساطير السياسية–الدينية. والهدف من ذلك هو شرح كيفية قيام الحجاج بتجنس سلطته، وتحويل الإجراءات السياسية القمعية إلى خطاب يبدو معقولاً وإلهيّاً ولا جدال فيه. د) صياغة استنتاجات حول كيفية تحقيق الجمع بين السلطة السياسية والقداسة الدينية من خلال التحليل السيميائي في الخطبة. الهدف هو إظهار كيف نجح الحجاج في خلق خطاب يساوي بين الطاعة السياسية والتقوى الدينية، وبين المعارضة السياسية والخطيئة أو الهرطقة. باستخدام نهج رولان بارت السيميائي، أي تحليل الدلالة الذاتية و الدلالة الإيحائية والأسطورة، تهدف هذه الدراسة إلى كشف طبقات المعنى الموجودة في خطبة الحجاج بن يوسف. قد يبدو هذا الخطاب ظاهريًا أنه نصيحة ودعوة للمجتمع إلى الطاعة، ولكنه قد يحتوي أيضًا على رسائل تتعلق بالسلطة أو السياسة، فضلاً عن تحديد الأساطير في خطبة الحجاج بن يوسف.

ب. تحديد المشكلة

١. كيف يتم استخدام الدلالة الذاتية والدلالة الإيحائية والأسطورة في خطبة الحجاج بن يوسف؟

٢. ما هي الرسائل السياسية الدينية التي تتضمنها الخطبة الحجاج بن يوسف والتي يمكن تفسيرها من خلال تحليل رولان بارت السيميائي؟

ت. أهداف البحث

١. تحديد استخدام الدلالة الذاتية و الدلالة الإيحائية والأسطورة في خطبة الحجاج بن يوسف.

٢. استكشاف الرسائل السياسية الواردة في خطب الحجاج بن يوسف من خلال التحليل السيميائي لرولان بارت.

.ث. أهمية البحث

١. الفوائد النظرية

المساهمة في تطوير دراسات السيميائية، ولا سيما تطبيق نظرية رولان بارت في تحليل النصوص التاريخية مثل خطب الحجاج بن يوسف. توسيع فهم العلاقة بين الأسطورة والسلطة في السياق السياسي–الديني خلال الخلافة الأموية.

٢. الفوائد العملية

يساعد على فهم استراتيجيات التواصل السياسي التي تستخدم الرموز الدينية كوسيلة لتعزيز السلطة، وهو أمر مهم لتحليل ظواهر مماثلة في السياق الحديث. يوفر رؤى للممارسين السياسيين والقادة الدينيين والمراقبين الاجتماعيين حول أهمية الوعي بالرسائل الضمنية في السرديات العامة.

ج. الدراساتالسابقة

لطالما كانت الخطب التي ألقاها الحجاج بن يوسف الثقفي، وهو حاكم خلال عهد الأسرة

الأموية، موضوعًا مثيرًا للاهتمام في دراسات اللغويات والبلاغة والتاريخ. وقد دعت قوة اللغة والحزم السياسي والمحتوى الأيديولوجي القوي في هذه الخطب إلى إجراء تحليلات مختلفة من قبل باحثين يتبعون مناهج متنوعة. عند كتابة أطروحة، من المهم دراسة مختلف الدراسات السابقة المتعلقة بتحليل خطب الحجاج بن يوسف. يبدأ الباحثون بدراسة الدراسات السابقة ذات الصلة والملائمة للبحث المراد إجراؤه. وبالتالي، يحصل الباحثون على مراجع وأدلة داعمة ومعلومات تكميلية ومقارنات عند كتابة هذه الأطروحة. وقد حاولت عدد من الدراسات السابقة الكشف عن جوانب مختلفة من هذه الخطب، والتي تشكل أساسًا لهذا البحث.

تركز الدراسة التي أجرتها فاطمة بلخيري (٢٠١٤) على الجوانب الجمالية للبلاغة من خلال علم *البيان* .تبحث هذه الدراسة بشكل شامل استخدام الأسلوب البلاغي مثل الاستعارات والتشبيهات التي استخدمها الحجاج لبناء الجمال والقوة الإقناعية في خطبه. وينصب التركيز الرئيسي على كيفية قيام هذه العناصر الأسلوبية بخلق صور تصويرية فريدة وما إذا كان من الممكن تحقيق أهداف الخطاب باستخدام العناصر البلاغية في خطبه.[١٠]

من منظور مختلف، استخدم مهدي عابدي جازيني وأسكار علي كرمي (٢٠١٧) نهجًا تحليليًا نقديًا لتحليل آليات الإقناع في خطب الحجاج. تشير نتائجهم إلى أن الاستراتيجيات الرئيسية للحجاج كانت التخويف والحزم. تكشف هذه الدراسة عن الأساليب النفسية التي استخدمها لتحقيق أهدافه السياسية والاجتماعية، فضلاً عن مدى معرفته بالآليات السائدة في عصره. تتماشى هذه الدراسة مع منهج ''علم النفس الاجتماعي''، الذي يتبنى نهجاً وصفياً وتحليلياً نقدياً لتحليل

[١٠] فاطمة بلخيري، البيان في خطبة الحجاج بن يوسف (جامعة محمد خايدر – بيسكرة، الجزائر، ٢٠١٤)

الأساليب التي استخدمها الحجاج لتحقيق أهدافه الإقناعية. [١١]

تظهر الدراسات الحديثة تحولاً نحو التحليل البراغماتي. بحث دودو سعيدة والعبدي خديجة (٢٠٢٣). في هذا السياق، اختار دودو موضوع ''الأفعال الكلامية'' في خطبة الحجاج بن يوسف للشعب العراقي، وهي دراسة براغماتية. تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف السمات البراغماتية والنحوية بشكل عام، والأفعال الكلامية بشكل خاص، والتي تعتبر من أهم النظريات البراغماتية. ومن بين الأسباب التي دفعتها إلى اختيار هذا الموضوع أهمية خطب الحجاج بن يوسف ومكانتها كأحد أكثر النصوص الأدبية إقناعًا. ومن أهم مبررات اختياره لهذا الموضوع رغبته الشديدة في فهم أهم الآليات اللغوية المستخدمة في خطب الحجاج بهدف التأثير وإسكات الأصوات المعارضة. بدأ بحثه بسؤال أساسي: أهمية الأفعال الكلامية كفرع من فروع البراغماتية، وأهم آلياتها اللغوية، والأفعال الكلامية الأكثر استخدامًا في خطب الحجاج، ومدى نجاح الحجاج في استخدام هذه الأفعال الكلامية، وكيف تجلت الأفعال الكلامية في خطب الحجاج بن يوسف.[١٢]

وتماشياً مع ذلك، استخدمت عائشة عثمان سعد عثمان وأحمد نطوف (٢٠٢٤) ''ضوء نظرية المسالك والغايات'' لتحليل خطاب الحجاج. استخدم بحثهما ''ضوء نظرية المسالك والغايات'' التي وصفها الباحث الليبي محمد يونس لتحليل خطب الحجاج بن يوسف الثقفي التي ألقاها على الشعب العراقي في عام ٧٥ هـ. تركز هذه النظرية على إيجاد مراجع واقعية ومراجع موضوعية ومراجع

[١١] مهدي عابدي جازيني وأسكار علي كرامي، *آليات الإقناع في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي* (دراسة نقدية وتحليلية)، (جامعة أصفهان، إيران، ٢٠١٧).

[١٢] دودو سعيدة العبدي وخديجة، *أفعال الكلام في خطبة الحجاج ابن يوسف الثقفي في أهل العراق–دراسة تداولية* ، (جامعة أحمد داريا أدرار، الجزائر، ٢٠٢٣).

نفسية من الخطب. بالإضافة إلى ذلك، تسلط هذه النظرية الضوء على البنية اللغوية وطريقة تكوين خطب الحجاج، وكذلك الغرض من كل خطبة لفهم المعنى الأعمق للخطبة. علاوة على ذلك، تناقش هذه الدراسة أيضًا تقنيات الإقناع البارزة في خطبه :*الإيثوس والباثوس واللوغوس*، لفهم بنية الحجة والغرض من وراء خطابه.[١٣]

[١٣] عائشة عثمان سعد عثمان وأحمد نطوف، *تحليل خطبة الحجّاج بن يوسف الثقفي في ضوء نظرية المسالك والغايات*، (جامعة قطر، قطر، ٢٠٢٤).